ديك سقراط

للكاتب ليوبولدو آلاس

ترجمة : كامل عبد المجيد

ليوبولدو آلاس كاتب اسباني ولد في مدينة (زامورا) الا انه قضى معظم حياته في (اوفييدو) حيث شغل كرسي الفلسفة بالجامعة . وليوبولدو من احسن نقاد عصره هذا بالاضافة الى انه ايضا قصاص وروائي استطاع ان يطور – بنجاح عظيم – فن كتابة القصة القصيرة في بلده

وقصة « ديك سقراط » هي احدى قصص مجموعة قصصية نشرت للمؤلف في كتاب يحمل نفس العنوان وصدر في برشلونة عام ١٩٠١

بعد ان اغمض (كريتو) عيني استاذه سقراط واقفل فمه، ترك اتباعه الآخرين ملتفين حول الجثة وخرج من السجن عاقدا العزم على ان ينفذ – في اقرب فرصة – وصية سقراط الاخيرة له . وعلى الرغم من الاحتمال القائل بأن سقراط قد ابدى هذه الرغبة على سبيل المزاح ، الا ان كريتو عقد عزمه على تحقيق هذه الرغبة بحذافيرها، لاحتمال آخر ، هو ان يكون سقراط جادا في طلبه.

فحينما كان سقراط يلفظ آخر انفاسه ، رفع ثوبه الذي غطى به جسده ليخفي عن تلاميذه منظره الحزين في الموت وقال آخر كلماته :

« كريتو .. ان في اعناقنا دينا لاسكولابيوس .. فنحن مدينون له بدين .. فلا تنس ان ترد له الدين » ولم يفه بشيء بعد ذلك .. لان روحه كانت قد صعدت الى بارئها .

وهكذا اصبح هذا الدين مقدسا في عيني كريتو . لم يشأ ان يناقش او يحلل هذه الرغبة .. ولم يحاول ان يتحقق اذا ما كان سقراط يتكلم على سبيل المزاح او التهكم ، او انها كانت فعلا وصية استاذه الاخيرة .. الم يكن سقراط دائما يحترم المعتقدات الدينية الشائعة وهي الدين الرسمي للدولة.. هذا على الرغم من اتهامات (انيتوس) و (ميليتوس) . من المؤكد أن سقراط قد خلع على الاساطير شخصية ورمزية فلسفية وطابعا ساميا مثاليا (على الرغم من ان كريتو لم يكن يسميها «اساطير» بالطبع) وذلك بفضل تفسيراته الشعرية و (ميليتوس) . من المؤكد ان سقراط يحترم عقيدة اليسوثانيين ، الديانة الايجابية ، وعقيدة الدولة ... وقد

تجلى ذلك بوضوح فى قصة جميلة تضمنها خطاب سقراط الاخير (حيث لاحظ كريتو ان سقراط ـ على الرغم من اسلوبه الخاص فى السؤال والجواب فى مثل هذه الخطب ـ فانه كان ينسى مستمعيه فى بعض الاحيان ويطيل فى حديثه ذى الاسلوب المنمق) .

لقد صور سقراط عجائب العالم الآخر فى تفاصيل «توبوغرافية» كخريطة للارض تتوافق مع التفكير التقليدى اكثر مما تتفق مع المنطق الجاف والفلسفة الصارمة . ولم يذكر سقراط انه لا يؤمن بكل ذلك ، على الرغم من انه لم يستطع ان يؤكد حقيقة ما وصفه فى اقتناع المتعصب العنيد .. ولكن ذلك لا يستوجب العجب ، فعلى الرغم من آراء سقراط الخاصة ، التى شرحها فى دفاعه عن خلود الروح ، فانه اعترف ـ متجاهلا خيالاته وكبرياءه ـ بالامكانية الميتافيزيقية التى تقول ان الاشياء قد لا تطابق الوصف .. فى ايجاز ، لم يخطر ببال كريتو انه يسير فى اتجاه مخالف لمذهب استاذه او سلوكه فى بحثه عن ديك ، لكى يقدمه بأسرع ما يمكن الى اله الطب .

ولم يكد كريتو يبعد مائة خطوة عن السجن الذى كان يرقد فيه سقراط حتى شاهد على قمة سور فناء صغير ، ديكا بديع الريش .. كما لو كانت العناية الالهية قد تدخلت فى الأمر وبعثت بهذا الديك الى هذا المكان بهذه السرعة . كان الديك قد قفز لتوه من احدى الحدائق فوصل الى قمة السور ، وكان على وشك الهبوط الى الطريق .. كان ديكا هاربا .. حرر نفسه من قيد تعس .

تكهن كريتو بوجهة الطائر ، وانتظره حتى يقفز الى الطريق ليستطيع مطاردته واللحاق به ، وذلك بعد ان دخل فى روعه ان هذا الديك بعينه .. ولا ديك غيره .. هو الذى يريده (اسكولابيوس) قربانا . فحين يتقبل الانسان ـ ولو لمرة واحدة ـ افكارا دينية ـ ومشاعر غير معقولة ، فانه لا يمانع فى الايمان بالخرافات التى يؤمن بها الاطفال ... وبهذه الطريقة فسر كريتو لنفسه مطابقة ظروف لقائه بالديك فى نفس اللحظة التى بدأ فيها البحث عنه .. فسر ذلك على انه مشيئة الآلهة . ولكن .. كان من الواضح ان الديك لم يكن من راى كريتو ، لان الديك اخذ يجرى مرفرفا بجناحيه ومقرقرا حينما راى رجلا يطارده ، مظهرا بذلك الدليل على بالغ ضيقه من المطاردة .

وسرعان ما تعرف الطائر على شخصية مطارده ، **لانه كثيرا ما رآه** فى حديقة سيده فى نقاش محتدم حول الحب والبلاغة والجمال .. وغيرها ، **بينما ـ اى الديك ـ يمارس اغواء لمائة** دجاجة فى دقيقة واحدة دون ان يلجأ الى هذه الفلسفة الطويلة .

« حسن !! انا الآن فى ورطة لا احسد عليها » هكذا بدأ الديك يفكر اثناء استعداده للطيران الذى كان قادرا عليه لو ضمن البعد عن موطن الخطر .

« وهكذا يصر هؤلاء الرجال العقلاء ـ الذين ابغضهم ـ على امتلاكى على الرغم من ان هذا يتعارض مع جميع القوانين الطبيعية التى يعترفون بها .. سيكون من المؤنس حقا ان اقع فى قبضة هذا الشيطان اليائس ... هذا المفكر صاحب الافكار المنقولة ـ بعد ان حررت

نفسي من عبودية سيدي الثرثار السايق » .

ثم جرى الديك والفيلسوف فى اعقابه .. وحين كان على وشك الامساك به صفق الديك بجناحيه وطار بنصف قفزة ـ مستعينا فى ذلك بالقوة التى أمده بها الخوف ـ ليقف فوق راس تمثال .. ولم يكن هذا التمثال سوى « بالاس أثينا » .

« أوه ! أيها الديك الوقح » صرخ الفيلسوف ثائرا فى تعصب وكأنه احد قضاة محاكم التفتيش .

بعد ان اسكت كريتو الاحتجاجات الدينية المتصوفة الزائفة فى ضميره الطبيعى والتى كانت تقول له « لاتسرق الديك » فكر قليلا ثم قال : « انك الآن تستحق الموت لتدنيسك المقدسات .. سوف تكون لى .. وستكون القربان المطلوب » .

ثم وقف كريتو على اطراف اصابعه رافعا راسه الى اقصى ما يستطيع ثم قفز الى اعلى والى اسفل بطريقة مثيرة للضحك ، ولكن ذلك كله كان عبثا .

عندئذ قال الديك لكريتو فى لغة يونانية جديرة بجورجياس نفسه :

« أيها الفيلسوف المثالى المعقد .. لا تزعج نفسك ، فانك لا تستطيع الطيران الى ارتفاع ما يستطيع الكتكوت ماذا ؟ اتدهش لمقدرتى على الحديث ؟ لماذا ؟ الا تعرفنى؟؟ انا احد ديوك مخزن غلال جورجياس ، وانا اعرفك ... ما انت سوى ظل .. نعم .. ظل رجل ميت .. وهذا هو مصير الاتباع الذين يعمرون اكثر من اساتذتهم ، انهم يعيشون كالاشباح ليخيفوا الاطفال .. يقضى الحالم الملهم ويترك خلفه اتباعا مقصوصى الاجنحة .. لا يصنعون من المثال الشعرى والرؤيا السامية الا سببا جديدا للخوف وحزنا جديدا للعالم وخرافة متحجرة » .

ـ « اصمت ايها الديك ... باسم نوعك .. الطبيعة تأمرك أن تسكت »

ـ « أنا اتكلم وانت تقرقر حول فكرة .. اسمعنى ! انى اتكلم دون استئذان فكرة نوعى .. ولكن من خلال قدرتى كفرد .. فبواسطة سماعى الكثير عن علم البيان ـ فن الكلام من اجل الكلام ـ تعلمت شيئا من هذه الصناعة » .

ـ «والآن تدفع الثمن لسيدك بهروبك منه وترك منزله وانكارك لسلطانه ؟ »

ـ « ان جورجياس مجنون مثلك ولو انه اكثر لطفا منك . ان المرء لا يستطيع الحياة مع مثل هذا الانسان فهو يحاول اثبات كل شىء وهذا يفقد الصواب ويسبب الحيرة والارتباك .. ان الانسان الذى يثبت كل شىء فى الحياة يتركها خاوية لا معنى لها .. ان نعرف سبب كل شىء .. ان نعرف (لماذا ؟) كل شىء .. معناه الا نجد سوى هندسة الأشياء وجوهر لا شىء .. وبذلك نجعل من العالم مجرد معادلة رياضية ... وهذا ايضا معناه ان نترك العالم دون راس او اقدام .. اسمع ... امض فى طريقك لانى استطيع الحديث فى هذا الموضوع سبعين يوما وليلة .. وتذكر انى ديك جورجياس السوفسطائى » .

ـ « لانك سفسطائى كاذب ، ولتدنيسك المقدسات ، وتحقيقا لمشيئة الاله (زيوس) يجب ان تموت ... فاستسلم » .

ـ « ليس لك .. فلم يولد بعد ذلك المثالى صاحب الافكار المنقولة الذى يستطيع أن يضع يده على.. ولكن لماذا كل ذلك ؟ ماهذه القسوة ؟ لماذا تقفو أثرى وتطاردنى هكذا ؟ »

ـ « لأن سقراط طلب منى فى احتضاره أن أضحى بديك لاسكولابيوس كدليل شكر .. وذلك لأن اسكولابيوس قد منحه الصحة الحقيقية بتحريره اياه ـ بالموت ـ من كل علل الحياة » .

ـ « هل قال سقراط كل هذا ؟ »

ـ « لا ! بل قال لى اننا ندين لاسكولابيوس بديك » .

ـ « وتمنيت انت الباقى ؟ » .

ـ « وما هو المعنى الآخر الذى تحمله هذه الكلمات ؟ »

ـ «معنى اكثر كرما .. معنى لايحوى الدم أو الخطأ .. ان قتلى ارضاء لاله لم يؤمن به سقراط هو بعينه اساءة

الى سقراط ، بل اهانة للآلهة الحقيقيين ان تسبب لى اذى فوق كل مقياس ، لأنى فى الحقيقة حى وبرىء .. كما انه ليس لدينا التصور الكافى لكل الحزن والالم الذى قد يحويه سر الموت » .

ـ « ان زيوس وسقراط يريدانك قربانا » .

ـ « لاحظ ان سقراط كان يتحدث بتهكم وسخرية .. سخرية العبقرى الهادئة غير اللاذعة .. لقد كانت روح سقراط العظيمة تستطيع ان تلهو وتسلى نفسها ـ دون خطر ـ باللعبة السامية الا وهى تخيل توافق العقل والاوهام الشائعة .. ان سقراط وكل خالقى حياة روحية جديدة يتحدثون بالرموز، وهم اهل بلاغة ، فبالرغم من معرفتهم للاسرار التى وصلوا اليها فانهم قد احترموا مكنوناتها ولم ينطقوا بها ... وهم حين يتحدثون عنها يلبسونها ثوبا شعريا .. والحب الالهى للمطلق يلجأ الى نفس هذه الوسيلة لمخاطبة الروح .. ولكن راقبهم حين يتحولون عن هذا الاسلوب العظيم ليعلموا العالم ؟ اى دروس قاسية وموجزة تكون ؟ كيف تخلو افتراضاتهم الاخلاقية ومثلهم من الصور والخيالات الجوفاء » .

ـ « يا ديك جورجياس ! امسك لسانك ومت » .

ـ « ايها التابع المسكين .. اذهب بعيدا واصمت .. اسكت الى الابد .. كلكم سواء يا اتباع العبقرية ... انكم شهود عميان صم عن المناجاة السامية للضمير ذى المنزلة المرتفعة .. فمن خلال اوهامه وتخيلاتكم تظنون انه بامكانكم ان تخلدوا خلاصة روحه بأن تحنطوا عقيدته بالعقاقير والقواعد ... لكى تحصلوا على صنم .. انكم تصنعون من جسده جثة محنطة .. مومياء .. انكم تجمدون الفكرة وتصنعون من الافكار الرقيقة سيفا تريقون به الدماء ... نعم !! « انكم رمز « للانسانية» الطائفية المسكينة .. فمن آخر كلمات قديس عاقل تستبيحون لانفسكم ان تسيلوا دماء ديك ـ كخطوة اولى ـ اذا كان سقراط قد ولد لكى يؤكد خرافات قومه ، فانه لم يكن ليموت للسبب الذى مات من اجله ولم يكن ليصبح قديس الفلسفة .. ان سقراط لم يؤمن باسكولابيوس ولم يكن يستطيع ان يقتل ذبابة .. لا ديكا .. لمجرد ان يطيب خاطر التافهين » .

ـ « لسوف التزم بكلمات سقراط .. تعال .. الآن » .

وبحث كريتو حوله عن حجر ثم صوبه نحو راس الديك .. وقذفه به .. فبدات الدماء تسيل من عرف الديك ، ثم فقد ديك جورجياس وعيه وسقط على الارض .. واثناء سقوطه صرخ !

« كو كا .. كو .. كا .. كووك ..

لا مفر من المصير ... لقد نفذت مشيئة الحمقى وسالت دماء الديك اسفل الحجر الدامى الذى صنعت منه جبهة تمثال « بالاس اثينا » .